البناء
السنة الثامنة / الاثنين / 4 تموز 2016 / العدد 2119
Eighth year / Monday / 4 July 2016 / Issue No. 2119

اعتذار أردوغان: ماذا بعد؟

■ حميدي العبدالله

أخيراً اضطر الرئيس التركي رجب طيب أردوغان للاستجابة لأهمّ مطلب روسي، وهو الاعتذار رسمياً عن إسقاط الطائرة الروسية، وجاء الاعتذار على أعلى المستويات، أيّ جاء من قبل الرئيس التركي في رسالة خطية موجهة للرئيس الروسي فلاديمير بوتين. والأرجح أنه سبقت وصول هذه الرسالة اتصالات بين الحكومتين، مباشرة أو عن طريق طرف ثالث.

لكن هل تقود هذه الرسالة إلى إسدال الستار على الخلاف الروسي – التركي، وتعيد العلاقات بين البلدين إلى ما كانت عليه قبل إسقاط الطائرة الروسية؟

إذا حكمنا على تصريحات بعض المسؤولين الروس الذين أدلوا بتصريحات تعقيباً على الاعتذار التركي يمكن القول إنّ تطبيع العلاقات بين روسيا وتركيا لن يكون سريعاً، وإنّ الاعتذار هو مجرد خطوة أولى كما قال مسؤول روسي كبير.

لكن لا شك أنّ الاعتذار وهو أعقد وأهمّ مطلب كانت تريده روسيا وترفضه تركيا أردوغان، وضع العلاقات بين أنقرة وموسكو على طريق التطبيع، ذلك أنّ روسيا لم يكن في حساباتها العمل على التصادم مع تركيا وهي تسعى لإدارة علاقاتها مع تركيا بالمعايير ذاتها التي تدير علاقاتها مع الدول الغربية حليفة الولايات المتحدة، أيّ عزل قضايا الخلاف عن قضايا المصالح المشتركة، ومن المعروف أنّ ثمة مصالح مشتركة بين البلدين إذا ما أخذنا بعين الاعتبار، مستوى ما وصل إليه التبادل التجاري بين البلدين، إضافة إلى النشاط السياحي.

لا شك أنّ الوضع الاقتصادي الذي تمرّ به روسيا وكذلك تركيا، يدفع البلدين إلى تطبيع علاقاتهما والحرص على استمرار التطور التجاري بينهما، ذلك أنّ العقوبات المفروضة على روسيا تجعلها بحاجة إلى الأسواق التركية، كما أنّ الأزمة الاقتصادية، أو على الأقلّ تراجع معدلات النمو الاقتصادي، تدفع تركيا للتمسك بقوة أكبر بعلاقاتها التجارية مع روسيا للتعويض عن تدهور علاقاتها مع سورية والعراق ودول عربية أخرى مثل مصر.

كما أنّ روسيا تحتاج تركيا وتركيا تحتاج إلى روسيا سياسياً لأنّ كلا البلدين لديه خلافات مع الحكومات الغربية، ويمكن للبلدين الاستقواء ببعضهما البعض، أو على الأقلّ توظيف علاقاتهما للضغط على الحكومات الغربية لأخذ رأيهما ومصالحهما وحساباتهما بعين الاعتبار.

يمكن الاستنتاج بشكل عام أنّ الاعتذار قد يعيد على مدى غير بعيد العلاقات بين البلدين إلى ما كانت عليه قبل إسقاط الطائرة الروسية، لكن لن يجعلهما دولتين حليفتين، ولن يزيل الخلافات الاستراتيجية بينهما، سواء كانت حول سورية، أو حول عضوية تركيا في الناتو.

داعش تنهش حاضنتها

■ د. خيام الزعبي*

أصبحت تركيا الداعمة لداعش وأدواتها في سورية تتخبّط في قراءة مستقبل التهديدات التي بدأت تنهش جسدها، وأهمّ مشاهد التخبّط على الساحة التركية ما حدث من تفجيرات إرهابية، وتغييرات سياسية نجمت عن الموقف الدولي والإقليمي والنظرة إلى ما يحدث في المنطقة برمتها.

إلى وقت قريب كانت تركيا تتدخل بعمق في مفردات الصراع في سورية، لكنها اليوم ثبت بالدليل القاطع أنّ تركيا لاعب رئيسي من وراء الأستار والحدود، إذ تتلاعب بالأحداث والأوراق وتخفي وراءها أطماعاً مؤجلة في سورية يصعب في ظلّ تداعيات الأوضاع بالمنطقة من تحقيقها الآن...

من الطبيعي أن يعيش النظام التركي في هذه المرحلة بين مطرقة أخطائه وسندان تمويله لتنظيم «داعش»، الدعم المالي وتسهيلات عبور الحدود وتسليم الأسلحة،، كلّ ذلك انعكس على الداخل التركي، ومع ذلك استمرت تركيا بدعمها للفوضى وعدم الاستقرار في سورية، إلا أنّ ارتداد الإرهاب على أنقرة، بعد أن قامت داعش باعتدائها الإرهابي في مطار «أتاتورك» باسطنبول، وانطلاقاً من ذلك يمكن القول إنّ هناك عاملاً جديداً دخل الى معادلات الداخل التركي، وهو الإرهاب بكلّ أبعاده والذي بدأ يضرب تركيا...

على خلفية هذا المناخ يسجل اعتداء اسطنبول تغييراً في الاتجاه في استراتيجية تنظيم داعش، فتحركاته في تركيا ركزت حتى الآن على أهداف كردية، وقد استهدفت للمرة الأولى السياحة التي تعدّ قطاعاً رئيسياً للاقتصاد التركي.

في سياق متصل طرحت الإعتداءات التي تعرّض لها مطار أتاتورك الدولي في اسطنبول أسئلة حول الأسباب التي تجعل تركيا هدفاً مركزياً لهجمات الإرهاب، في هذا الإطار يمكن القول إنّ استهداف اسطنبول ومطارها بالذات يتقصّد منه إلحاق أضرار بشرية ومادية ومعنوية كبيرة، بما يراه خبراء الجماعات الإسلامية انتقاماً واضحاً تمارسه تلك الجماعات ضدّ حكومة أردوغان التي قد تكون بدأت بالتخلي عن حلفائها القدامى، وبذلك يتوقع الخبراء هجمات اخرى على أراضي تركيا التي وفرت تربة خصبة للتنظيم وأزالت الصعوبات أمام تجنيده عناصر جديدة.

وفي السياق ذاته أكد الكاتب في صحيفة «نيويورك تايمز» الأميركية روكميني كاليماشي أنّ تركيا بدأت بحصاد نتائج الإرهاب الذي دعمته وموّلته في سورية وأنّ الهجوم الذي وقع في مطار أتاتورك الدولي أكبر دليل على ذلك، إذ قام أردوغان على مدى سنوات طويلة بتسهيل عبور الإرهابيين إلى الأراضي السورية وحوّل تركيا إلى ملاذ وقاعدة لانطلاق التنظيمات الإرهابية بما فيها داعش، كما لعب دوراً رئيسياً ومحورياً في نشأة وتمدّد هذا التنظيم، وذلك لتحقيق مكاسب سياسية من خلال تدمير سورية، وبالتالي بمعنى إنّ تصاعد هذه العمليات الإرهابية يأتي نتيجة للسياسات التي اتبعها النظام التركي في دعم وتمويل وتسليح التنظيمات الإرهابية في سورية، فكان أردوغان أول من رفض الدخول في تحالف مع قوى الغرب ضدّ داعش، تحت زعم أنّ التحالف ضدّ القوى الإسلامية مرفوض ولا يعدّ إرهاباً، وخرج كثيراً في المحافل الدولية يدافع عن التنظيم، وإزاء ذلك الدعم منقطع النظير، شهدت تركيا خلال السنوات الماضية عمليات إرهابية ضخمة، بعدما انقلب سحر أردوغان عليه، لينقلب هو الآخر على وليده الذي ظلّ يطعمه سنوات عديدة، ويشنّ غارات عسكرية على معاقل داعش تحت اسم بداية حرب متزامنة على الإرهاب.

وسط هذه الأجواء يواصل الجيش السوري مهمته الوطنية في ملاحقة القوى المتطرفة ونفذ سلسلة عمليات قضى خلالها على عشرات الإرهابيين...

مجملاً... إنّ القتل والترويع لن يغيّر حلم السوريين وتطلعاتهم إلى وطن مستقرّ آمن خال من التطرف، فالشعب السوري قادر على مواجهة مخططات الإرهاب والمؤامرات المشبوهة وإفشالها بوحدته الداخلية وبإرادته وجيشه العربي التي لن تستطيع ايّ قوة أو إرهاب أن تكسرها، والآن وعلى ضوء التطورات الدراماتيكية التي تشهدها المنطقة فإنّ تركيا أمام وضع من اثنين... إما أن تقرّ بأنّ الإرهاب ليس سلاحاً يعتمد عليه وهو يرتدّ على من يحمله، وعند ذلك تنخرط في حرب عالمية حقيقية جدية ضدّ الإرهاب كما تفعل سورية وحلفاؤها، أو أنها تستمرّ في الازدواجية والتغطية وتبقى ضحية لهذا الارهاب.

*كاتب سياسي
khaym1979@yahoo.com

«إسرائيل» و«القاعدة» شراكة مصير

- «إسرائيل» و«القاعدة» عاملان مهمان في توازنات الشرق الأوسط لا بدّ من مقاربتهما بعقل بارد.

- الطرفان لاعبان أساسيان في حوض جغرافي وسكاني وسياسي واستراتيجي واحد، ويعملان وفقاً لخطط طويلة المدى ويستحيل القول بلامبالاة أحدهما بالآخر ولو لم تكن بينهما علاقة فالقوة والضعف لأيّ منهما تنعكس على مواقع الآخر سلباً أو إيجاباً.

- بعيداً عن الرغبة باتهام الفريقين بالتعاون، وبعيداً عن المعنى الأخلاقي للنفاق «الإسرائيلي» أو «القاعدي» بأدبيات العداء المتبادل، من الواضح أن لا قدرة لـ«إسرائيل» على مقاتلة محور المقاومة وفوقه «القاعدة»، ولا قدرة لـ«القاعدة» على مقاتلة محور المقاومة وفوقه «إسرائيل»، وعلى الأولويات تحديد مقاتلة مَن هي الهدف.

- الواضح انّ محور المقاومة قرّر مقاتلتهما معاً رافضاً مهادنة واحد منهما أو التحالف معه للتفرّغ لقتال الآخر.

- الواضح أنه بالحدّ الأدنى قرّرت «إسرائيل» و«القاعدة» الهدنة الطويلة للتفرّغ لمقاتلة محور المقاومة، وأنّ هذا القتال المشترك لعدو مشترك يستحق التنسيق.

- انتصار محور المقاومة على أحدهما هزيمة للآخر وتفرّغ لقتاله، فلا غرابة أن تقول «إسرائيل» إنها قلقة مما قد يصيب «داعش».

- شراكة مصير...

التعليق السياسي

لا تبرير لخطوة تركيا في التطبيع مع «إسرائيل»

■ رامز مصطفى

شكلت عودة العلاقات الدبلوماسية وتطبيعها بين الجانبين التركي و«الإسرائيلي»، مادّة للسجال بين الكثير من النخب، وصلت إلى حدّ كيل الاتهامات، ولو بشكل مبطن. وهذا ليس بمستغرب لما مثله هذا الاتفاق وعودة العلاقات التركية - «الإسرائيلية» من منعطف خطير في هذه المرحلة الحساسة التي تمرّ بها المنطقة برمّتها، والتي وصلت تداعياتها لتطرق أبواب العديد من دول العالم. فتطوّع البعض منهم وبادر إلى تقدير الجهود التي بذلها الرئيس التركي رجب أردوغان من أجل رفع المظلومية الواقعة على الشعب الفلسطيني، وبذل الكثير من أجل مساعدة أهلنا المحاصرين في قطاع غزة، مع بقاء هؤلاء على حذرهم ومحاذرتهم التعرّض للاتفاق التركي – «الإسرائيلي»، على الرغم من تمسكهم المبدئي بمواقفهم تجاه الاحتلال «الإسرائيلي». والبعض الآخر ذهب بالمباشر ومن دون أية رتوش سياسية إلى إدانة الخطوة التركية الخطيرة في إعادة علاقاتها الدبلوماسية والتطبيع مع الكيان «الإسرائيلي»، ورأى هؤلاء أنّ خطوة الرئيس التركي في هذا الاتجاه انطوت على الكثير من المخاطر لما ستتركه من تداعيات على مجمل الأوضاع في المنطقة، خصوصاً أنّ محدّدات هذا الاتفاق قد تجاوزت العلاقات في الإطار الثنائي لتتعداه نحو «التنسيق الأمني الكامل على الأراضي السورية»، وأنّ أحد أهدافه منع ما أسماه «سيطرة إيران على سورية عبر حزب الله». وهذا ما كشفت عنه القناة الثانية العبرية، وما خلصَ إليه «مركز أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي»، إلى «أنّ الاتفاق إيجابي وضروري للدولتين في ظلّ التحديات التي تواجههما أنقرة وتل أبيب، وتحديداً في كلّ من سورية وقطاع غزة».

ولكن من المستغرب أن يجهد كاتب في تجميع ما كتبته وغرّدت به العديد من النخب الفلسطينية الإسلامية، ليصيغ بها مطالعة طويلة تحت عنوان «تركيا أردوغان وجدل ما بعد التطبيع.. النخب الفلسطينية بين التبرير والتشهير»، تلخص إلى ما رمى من خلالها هذا البعض أن يقوله لنا وللقارئ، عن أنّ تركيا أردوغان كانت مضطرة للذهاب مرة جديدة نحو تطبيع لعلاقاتها مع الكيان «الإسرائيلي». وقد انطوت مطالعة الدفاع تلك على الكثير من المفارقات التي تناقض السياق التبريري للخطوة التركية في التطبيع والاندفاع نحو خطب ودّ الكيان «الإسرائيلي» ورئيس حكومته نتنياهو. وجاءت في السياق التالي:

اعتراف الكاتب بأنّ تطبيع العلاقات التركية مع «إسرائيل» هو موقف ليس من السهل الدفاع عنه، خاصة أنه بلد يتمتع بخاصية قيادية في العالم الإسلامي، من موقع أنه يترأس منظمة التعاون الإسلامي. المفارقة هي في كيفية استسهال الدفاع تارة عن الخطوة التركية، وتارة في صعوبة الدفاع عنها في آن واحد عند الحديث عن التطبيع، على الرغم من أنّ ذلك سيترتب عليه الكثير من المخاطر والتهديدات ليس فقط على الفلسطينيين وحدهم، بل أيضاً على الأمة بأسرها

وإنْ كانت المطالعة تعترف بأنّ التطبيع بمثابة الغصة في حلق الكاتب، ولكنها في المقلب الآخر تعتبره قهر الضرورة، بمعنى أنّ تركيا أردوغان ذهبت إلى التطبيع مضطرة على ذلك، أيّ «مجبرٌ أخاك لا بطل»، وفي هذا تبرير يُناقض موقف الكاتب الذي رأى في التطبيع أمراً ذا خطورة، والكاتب عندما يُقرّر حجب مواقف غير الإسلاميين في قضية على غاية من الأهمية والخطورة، إنما يهدف من وراء ذلك، ألاّ يقف القارئ على حقيقة مواقف النخب والقوى الفلسطينية الأخرى. فهو استعرض فقط مواقف نخبة من الإسلاميين الفلسطينيين، وكأنه يقول إنّ خطوة الرئيس التركي في توقيعه على اتفاق عودة العلاقات مع «إسرائيل»، تحظى بتأييد واسع من الفلسطينيين ونخبهم

لجوء الكاتب إلى جعل قطاع غزة القاسم المشترك بين من وصفهم بالذين قدّموا الكلمة الطيبة لجهود الرئيس أردوغان، ونظروا للمسألة من باب أنّ تركيا لم تدّخر جهداً إلا وبذلته من أجل رفع الحصار والتخفيف من معاناة أبنائه، وبين من وصفهم الكاتب بالجهات المشككة والمتحاملة في الأصل على تركيا. والأدهى أنّ الكاتب قد اتهم هذه الجهات بالتواطؤ من أجل استمرار معاناة شعبنا من خلال الحصار الظالم. وهو قد تناسى أنّ طيفاً واسعاً من الذين أدانوا الخطوة التركية هم في الأصل جزء من الحالة السياسية الفلسطينية المقاومة، وإنْ كانت لهذه الجهات مواقف من السياسات التركية اتجاه سورية، من خلال انخراطها في دعم المجموعات المسلحة العاملة على الأرض السورية بهدف إسقاط الدولة السورية.

ما فائدة احتكاك الكاتب بالعديد من القيادات التركية التي أتاحت له فهم ومعرفة طريقة تفكيرها، لينتهي المطاف ببعضهم وتحديداً الرئيس التركي أردوغان إلى توقيع اتفاق مع «إسرائيل». والكاتب نفسه قد أقرّ في مطالعته بأنّ هذا الاتفاق سيكون له الكثير من المخاطر والتهديدات ليس فقط على الفلسطينيين وحدهم، بل أيضاً على الأمة بأسرها.

من دون الغوص كثيراً في موضوع إقحام الكاتب للمسألة السورية وما يجري على أراضيها، وإظهاره على أنّ الدور التركي اختصر على إبداء النصيحة والمشورة للقيادة السورية إذا ما أرادت نزع ما أسماها الكاتب بـ«الأزمة». وهو الذي أغفل عن عمد عدم استكمال روايته في نصفها الآخر، عندما انخرطت تركيا بما امتلكته من موقع وإمكانيات في الحرب على سورية، من أجل إسقاط الدولة السورية. والقول إنّ تركيا أردوغان قد خسرت سورية عندما دخل «تنظيم الدولة – داعش» على خط القتال هناك، متناسياً أنّ «داعش» ومعظم المجموعات المسلحة، إنْ لم نقل بمجملها وجدت الرعاية والاحتضان لها في تركيا.

الكاتب وإنْ اعترف بأنّ السياسة هي درجة احتراق الأيديولوجيا، بمعنى أنّ المصالح هي الحاكمة في السياسة وعلاقاتها، وبذلك هو يُقرّ بأنّ «الغاية تبرر الوسيلة»، حتى ولو كانت القيم الإسلامية التي تحكم تركيا بحسب الكاتب تفرض عليها التزاماً أخلاقياً يحكم تلك المصالح منظومة من القيم والمبادئ.

بعد أن استعرض الكاتب في مطالعته المطوّلة لسياق علاقات تركيا المتصادمة مع سورية والمتأزّمة روسيا بعد إسقاط طائرة السوخوي واتساع الشرخ بينهما، إلى الغرب الأوروبي الذي لم يأخذ بالرؤية التركية لاستقرار المنطقة عبر حلّ الأزمة السورية، أيّ التدخل العسكري المباشر. يذهب الكاتب إلى التبرير الغير مبرّر، بأنّ تركيا أردوغان وجدت نفسها أمام طريق بمسلك أوحد هو التفكير بـ«إسرائيل»، لما أسماه الكاتب بالاعتبارات السياسية والأمنية والإنسانية، حيث أفرد لها نقاطاً خمس، جعل منها أنّ «إسرائيل» تشكل خشبة الخلاص لتركيا بهدف التخلص من المشاكل والأزمات التي خلقتها لنفسها وباتت تتهدّدها وتعاني منها. وتلخصت بحاجة تركيا إلى عودة الزخم العلاقة مع أميركا، والمحافظة على مكانة تركيا كممرّ آمن للغاز «الإسرائيلي» نحو أوروبا، وهذا ما أكدته الباحثة غاليا ليندنشتراوس «أنّ تركيا وإسرائيل متفائلتان جداً في ما يتعلق بتصدير الغاز الطبيعي الذي تمّ اكتشافه على السواحل الإسرائيلية إلى تركيا، ومن هناك أوروبا». وحاجتها للجم التطلعات الكردية نحو استقلالهم، بما يشكل خطراً حقيقياً على تركيا واستقرارها. والتهديدات الإرهابية المتعاظمة ضدّ تركيا. وجاءت النقطة الخامسة، في تقديم جهد الاستطاعة التركية للتخفيف من معاناة الفلسطينيين في قطاع غزة، لتدلل أنّ غزة وفك الحصار عن قطاعها لم يشكل عائقاً أمام توقيع الاتفاق التركي – «الإسرائيلي»، وهذا ما سميّ بالتفهّم لخطوة تركيا أردوغان من قبل الكاتب والنخبة التي أفاض بها مطالعته للدفاع وتبرير التطبيع مع «إسرائيل».

بعد الحصاد المرّ لسياساته...
هل يسلّم أردوغان بفشل مشروعه ويتوقف عن دعم الإرهاب؟

■ حسن حردان

بعد الاتفاق التركي - «الإسرائيلي» على تطبيع العلاقات على حساب القضية الفلسطينية، هل انتهت فصول المناورة والخديعة التركية - الأردوغانية التي استدرّت التعاطف والتأييد عربياً وإسلامياً عبر الظهور بمظهر الداعم لقضية فلسطين، وإطلاق المواقف والتصريحات اللفظية الرنانة ضدّ السياسات «الإسرائيلية» من دون أن تقترن بأية أفعال حقيقية، بهدف تحقيق مشروعه السلطاني العثماني؟

هل انتهت الرهانات الخائبة للرئيس التركي رجب أردوغان على إحياء السلطنة العثمانية الآفلة بعد أن رفع الرايات البيضاء معلناً رضوخه للشروط الروسية لإنهاء المقاطعة التي فرضتها روسيا على تركيا على اثر إسقاط الأخيرة طائرة السوخوي في ريف اللاذقية قبل نحو سبعة أشهر؟

وهل سيقرّر إعادة النظر في سياساته الداعمة والحاضنة لقوى الإرهاب ويصحو من أوهامه لا سيما على أثر تلقيه الضربة الأقوى والأكثر إيلاماً في مطار اسطنبول من قبل هذه القوى الإرهابية التي ارتدّت عليه بعدما درّبها وسلّحها ومكنها من التسلل إلى سورية لمحاولة إسقاط نظام الرئيس بشار الأسد، أو سلخ حلب عن الدولة السورية وضمّها إلى سلطنته العثمانية الموهومة؟

الواضح أنّ أردوغان بات يعاني من مأزق كبير نتيجة الإجراءات العقابية التي اتخذتها موسكو ضدّ تركيا على أثر إسقاط السوخوي، وكذلك نتيجة الفشل في تحقيق أحلام مشروعه باستعادة أمجاد سلطنة غابرة لن تبصر النور، وتحوّل سياسة صفر مشاكل التي وفرت الازدهار والاستقرار لتركيا والانفتاح على دول الجوار على مدى عقد من الزمن، إلى مشكلات بالجملة باتت ترزح تحت وطأتها تركيا، إنْ كان لناحية تفجر الاستقرار الأمني والسياسي، أو لناحية القضاء على سنوات الازدهار الاقتصادي.

فسياسات أردوغان بتوسّل دعم الإرهاب في سورية وتوظيفه لتحقيق أهداف مشروعه العثماني، وتصادمه مع روسيا أدّت عملياً إلى جملة من النتائج السلبية بالنسبة لتركيا أبرزها:

النتيجة الأولى: إحداث استقطاب حادّ على صعيد المجتمع التركي الذي أصيب بالتصدّع بفعل انتهاج أردوغان سياسة التحريض على إثارة الصراعات المذهبية والطائفية في سورية، واستخدامه خطاباً مذهبياً في بلاده، ومعروف أنّ المجتمع التركي مماثل في تركيبته للمجتمع السوري، وأدّى هذا الاستقطاب إلى انقسامات عميقة على الصعيد المجتمعي وعلى الصعيد السياسي وإدخال البلاد في حالة من التوتر وعدم الاستقرار الدائمين وإقدام أردوغان على انتهاج سياسة قمعية ومركزة السلطة بشخصه ضدّ قوى المعارضة لسياساته وحتى ضدّ من لا يوافقه الرأي داخل حزبه، والعمل على إقصائه كما حصل مع رئيس وزرائه أحمد داوود اوغلو أحد مهندسي السياسة التركية في عهد أردوغان.

النتيجة الثانية: تفجير الأمن والاستقرار في تركيا حيث تحوّلت مدن أساسية إلى ساحات حرب بين الجيش التركي وحزب العمال الكردستاني بعد أن انقلب أردوغان على اتفاق الهدنة مع الحزب ورفض تنفيذ مضمونه لناحية إعطاء أكراد تركيا حق ممارسة حقوقهم القومية من ضمن الدولة التركية.

النتيجة الثالثة: ترافق ذلك مع إقدام القوى الإرهابية التكفيرية التي استفادت من البيئة الحاضنة وحرية الحركة والدعم اللذين وفرتهما لها الدولة التركية على تنفيذ سلسلة تفجيرات في اسطنبول وغيرها من المدن التركية، وكان آخرها التفجيرات التي نفذها ثلاثة انتحاريين في قلب مطار اسطنبول وأدّت إلى سقوط مئات الضحايا والجرحى.

النتيجة الرابعة: إدخال تركيا في أزمة اقتصادية واجتماعية وهروب الاستثمارات الأجنبية على أثر تفجير الاستقرار الأمني وتحوّل تركيا إلى ساحة حرب وتفجيرات أثرت سلباً على السياحة، التي تشكل مصدراً مهما للدخل، وعلى الحركة الاقتصادية.

النتيجة الخامسة: أدّى قرار أردوغان إسقاط طائرة السوخوي الروسية وفشل خطته جرّ روسيا إلى حرب مع حلف الناتو إلى تعميق مأزقه ومفاقمة الأزمات التركية على الصعد كافة حيث جاء الردّ الروسي على هذا الاعتداء مقاطعة تركيا سياسياً واقتصادياً، ما أدّى إلى توجيه ضربة قاصمة للسياحة التركية، وقطاع التجارة على حدّ سواء.

هذه النتائج السلبية التي أسفرت عن فشل رهانات أردوغان في تمكن جماعة الإخوان المسلمين من الاستمرار في حكم مصر، وسقوط أحلامه في إسقاط الدولة الوطنية السورية، وارتداد الإرهاب على الداخل التركي، أدّت عملياً إلى جعل تركيا في حالة من انعدام الوزن والتخبّط، والطريق المسدود الذي لا أفق للخروج منه إذا ما استمرّ أردوغان في الإيغال في سياساته المذكورة، ولم يسلّم بفشلها ويعمد إلى العمل على المسارعة للإقرار بالوقائع الجديدة التي أحدثها الحضور الروسي النوعي في سورية وما تمخض عنه من توازن عسكري جديد ومعادلة ميدانية جديدة لمصلحة الجيش العربي السوري وحلفائه، والرضوخ للشروط الروسية لإنهاء مقاطعة روسيا لتركيا، وبالتالي تدارك المزيد من التأزم الاقتصادي والاجتماعي وتراجع قيمة العملة التركية والذي أدّى مع تدهور الوضع الأمني إلى تلاشي كلّ الإنجازات التي مكنت حزب العدالة والتنمية بقيادة أردوغان من التربع على عرش حكم تركيا.

ويبدو من الواضح أنّ أردوغان الذي يتقن فنّ اللعب على الحبال والانتقال من ضفة إلى ضفة أخرى يرى في مصالحة روسيا والرضوخ لشروطها، وكذلك تطبيع العلاقات مع «إسرائيل» سبيله لوقف التدهور المستمرّ في وضع الاقتصاد التركي وفك العزلة عنه.

لكن ذلك وحده لن يكون كافياً لمنع تحوّل تركيا إلى ساحة تعبث فيها قوى الإرهاب التي انقلبت على داعميها من دون أن يقترن بقرار يتخذه أردوغان يعيد النظر جذرياً بسياساته القائمة على توظيف الإرهاب، وبالتالي العمل على اتخاذ سلسلة خطوات تضع حداً نهائياً للسياسات التي حوّلت تركيا إلى ملاذ آمن لقوى الإرهاب وجعلت من الأراضي التركية منطلقاً للإرهابيّين للتسلل إلى كلّ من سورية والعراق، وتزويدهم بالسلاح والذخيرة لمواصلة حربهم لتدمير البلدين.

ولا شكّ أنّ أولى الخطوات المطلوبة تبدأ بإغلاق الحدود التركية السورية العراقية بوجه الإرهابيين والعمل على تجفيف أيّ دعم لهم أنّ بالسلاح أو بالمال أو بالمسلحين.

فهل يكون قرار أردوغان بالاعتذار من روسيا على إسقاط طائرة السوخوي مقدّمة لقرار ثان يوقف فعلياً دعمه لقوى الإرهاب، أم أنّ أردوغان يحاول أن يخرج من مأزقه الاقتصادي دون تغيير سياساته التي وقفت وراء تفجير الاستقرار في سورية وأدت إلى جلب الإرهاب ليضرب أخيراً الأمن والاستقرار في تركيا؟

من البيّن أنّ أردوغان يريد من خلال تطبيع العلاقات مع روسيا و«إسرائيل» إخراج تركيا من أتون الأزمة الاقتصادية، وليس إعادة النظر بسياساته الداعمة لقوى الإرهاب، غير أنّ رهانه على تحسين الوضع الاقتصادي سرعان ما سيواجه الفشل لأنّ قرار تنظيم «داعش» الإرهابي بضرب الأمن والاستقرار في تركيا والذي تجسّد عملياً بالتفجيرات الانتحارية في مطار اسطنبول رداً على إقدام الرئيس التركي الاعتذار من روسيا، سوف يضرب السياحة ويؤدّي الى امتناع السياح الروس عن الذهاب الى تركيا على الرغم من تطبيع العلاقات الروسية التركية، فتحقيق الاستقرار والأمن شرط أساسي من شروط تشجيع السياحة وجلب الاستثمارات، وفي ظلّ غياب الأمن والاستقرار بفعل التفجيرات الإرهابية أو بفعل المعارك الدائرة بين حزب العمال الكردستاني والجيش التركي يصعب إعادة تنشيط الاقتصاد واقناع السياح بالمجيء الى تركيا.

غير أنّ أردوغان حتى ولو اقتنع بأنّ مصلحته تكمن في اتخاذ قرار بوقف دعم قوى الإرهاب وإقفال الحدود التركية مع سورية بوجه الإرهابيين، لن يكون قادراً على ذلك لأنّ تركيا عضو في حلف الأطلسي بقيادة الولايات المتحدة الأميركية التي تقود الحرب الإرهابية ضدّ سورية وتسعى الى مواصلتها لاستنزاف سورية وحلفائها أو فرض حلّ سياسي يحقق أهدافها باختراق سيادة واستقلال سورية وتمكين القوى التابعة لأميركا من نيل حصة أساسية في السلطة السياسية تشكل أداة واشنطن للتدخل في الشأن السوري الداخلي، كما هو حاصل في لبنان والعراق وغيرهما. وهو ما ترفضه سورية بقوة.

وهذا يعني أنّ أردوغان سوف يكون من الآن وصاعداً واقعاً بين سندان ضربات قوى الإرهاب المنقلبة عليه وما تولده من ضغط شعبي وسياسي يطالبه بوقف دعمه للإرهابيين في سورية والعراق وإقفال الحدود، وبين مطرقة ضغط أميركا وحلف الناتو بالاستمرار في توفير الدعم وحرية الحركة للإرهابيين من تركيا الى سورية وبالعكس...

أنه مأزق أردوغان الذي بدأ يدفع ثمن دعمه الوحش الإرهابي الذي انقلب عليه، وثمن ارتمائه في أحضان حلف الناتو الذي يستخدم تركيا قاعدة لتنفيذ مخططاته الاستعمارية في الوطن العربي.

المسرحية الأردوغانية... آخر الفصول الفشل!

■ محمد ح. الحاج

سرّبت أوساط عليمة بخفايا الأمور أنّ الرئيس بوتين بعد اطلاعه على رسالة الرئيس التركي أردوغان قام بتمزيقها وإلقائها جانبا، في الوقت الذي نقلت الأوساط الإعلامية الروسية عن أكثر من مسؤول أنّ الاعتذار التركي يحتاج إلى إجراءات عديدة ليصبح كافياً ويدفع إلى إعادة تطبيع العلاقات وإنهاء الأزمة بين الجانبين.

الأوساط المتابعة لمسار الأزمة بين الحكومة التركية وحكومة الكيان الاستيطاني الصهيوني أجمعت أنّ الرئيس التركي قدّم الكثير من التنازلات مقابل وعد الصهاينة الالتزام بدفع التعويض الذي تمّ الإعلان عنه والبالغ حوالي 20 مليون دولار، دون التعهّد برفع الحصار عن قطاع غزة الذي اعتبر في حينه السبب الرئيس لحصول الأزمة، تركيا التي وجدت نفسها في عزلة دولية خانقة نتيجة سياساتها الخارجية تجاه الجوار واختلافها مع الأوروبيين الذين لهم سياساتهم الخاصة تجاه المنطقة بما يحفظ مصالحهم دون التأييد المطلق لمشروع الإخوان المسلمين الذي تدعمه وتتبناه الحكومة التركية، ومحاولة تركيا فرض رأيها على الأوروبيين بفتح الأبواب ودفع المهاجرين نحو الداخل الأوروبي حتى من غير السوريين الذين قامت جهات داخل تركيا بتزوير وتوفير جوازات سفر سورية لهم، مع ذلك لم تنجح تركيا في مسعاها ورضخت مقابل مبالغ مالية لتمنع تدفق المهاجرين واسترجاع من هم على الأراضي اليونانية، وفي الوقت ذاته تغلق الحدود بوجه آخرين كانت تحاول استدراجهم إلى الهجرة واللجوء إلى أوروبا عبرها.

الاسترضاء التركي للدولة الروسية ومحاولة اعادة فتح خطوط الحوار والتواصل وتطبيع العلاقات على طريق استعادة أنشطة الشركات التركية، واستعادة أفواج السياح الروس وما يحملونه من عملات صعبة يحتاجها الاقتصاد التركي، قد لا تكون وحدها الدوافع، بل ربما تعدّاها أملاً في الوصول لاحقاً إلى تفاهم وتفهّم الروس لما تعمل له الحكومة التركية على الأراضي السورية أو ما تقوم به من دعم وتأييد لبعض الفصائل التي جذرها داعش أو النصرة، في عمليات نهب ونقل المنشآت الصناعية السورية والكثير من الثروات المخزونة (الحبوب، والأقطان، وكذلك النفط) واستخدام بعضها في تمويل الجماعات العاملة في خدمة المشروع التركي، إضافة إلى المبالغ التي توفرها دول مثل السعودية وقطر وبعض الجهات في الخليج العربي، وربما جاء من ضمن عملية الاسترضاء التزام الرئيس التركي وعد تعويض قيمة الطائرة الروسية، وكذلك التعويض لعائلة الطيار الروسي الذي قام عملاء تركيا بإعدامه، إضافة إلى وعود قد لا يتمّ الكشف عنها في الوقت الحاضر، أما المطالب الروسية التي تمّ الإعلان عنها قبلا فإنّ أياً منها لم يتحقق ولم تعلن الحكومة التركية التزامها بها أو بجزء منها وأهمّها إغلاق الحدود بوجه المرتزقة القادمين من أصقاع العالم، أو وقف تمرير الأسلحة والذخائر، بل العكس هو ما حصل خلال فترة التزام الروس والسوريين بوقف إطلاق النار علماً بأنّ الرقابة الروسية كانت فاعلة وأعلنت عن عمليات الدعم اللوجستي التركية ووصول أسلحة حديثة ومضادات جوية إلى جبهة النصرة ومن معها من جيش الفتح والإسلام وعصابات أجناد القوقاز والتركستان والزنكي إلى آخر القائمة، وهذا بحدّ ذاته يشكل سبباً رئيساً لعدم الاهتمام الروسي بالاعتذار التركي أو الإعلان أنه غير كاف.

انخفضت قيمة العلاقة بين تركيا والكيان الصهيوني كثيراً، وانتقلت من حيّز الاستراتيجيا إلى مستوى العلاقة التكتيكية، فالعدو الصهيوني الذي كان يرى في النظام التركي بوابة عبور إلى بعض العالم العربي ما عاد بحاجة لها مع وجود بوابات عديدة مفتوحة ومباشرة إلى هذا العالم، وتبقى العين الصهيونية تنظر إلى المجال التركي من حيث الأهمية الأمنية كقاعدة عمليات استخبارية ومركز تنسيق لحماية أمن الكيان، ومراقبة الحركات الراديكالية الإسلامية التي يمكن أن تتخذ من الأراضي التركية منطلقاً لمهاجمة الكيان، هذا ما أعلن عنه رئيس وزراء الكيان نتانياهو صراحة، كما أنّ هناك عاملاً اقتصادياً يتمثل بحاجة تركيا إلى الطاقة وخاصة الغاز، على أنّ الصهيوني ليس بحاجة للأموال بل هو يتطلع إلى مبادلة الغاز بالمياه التي يعتبرها الأكثر أهمية لمستقبل المشروع... النظام التركي هو الأكثر حاجة إلى تطبيع علاقاته مع الكيان الصهيوني مع انقلاب العلاقة وانعدام تواصل هذا النظام مع جيرانه وحلفائه القديمين من العرب والأعراب، وانتقال هذا النظام من علاقات متميّزة مع جواره إلى حالة صفر أصدقاء... في الوقت الذي تخلت الولايات المتحدة وأكثر الغرب عن دعم الموقف التركي بمواجهة مصر والعراق... وسورية جزئياً.

التطبيع التركي – الصهيوني على قاعدة الحاجة التركية يبدو جلياً في الثمن البخس الذي ارتضاه النظام التركي والمتمثل بمبلغ التعويضات عن حادث السفينة «مرمرة»، الذي لا يتجاوز من حيث القيمة تعويضات حادث حافلة عامة على أحد الطرق، ويمكن إدراك ذلك من مجمل التصريحات التي صدرت عن قادة صهاينة من مختلف مواقعهم، المدنية منها والعسكرية، وتأكيد هؤلاء على حجم الربح الصهيوني لصالح الكيان أمنياً دون الالتزام بأيّ من المطالب التركية تجاه السبب الأول للصدام وهو حصار قطاع غزة. ما عدا الشأن الإنساني «وبما لا يتناقض مع أمن الكيان» وهذا ما أوضحه نتنياهو ذاته.

يقول بن علي يلدريم رئيس الوزراء التركي أنه سيعمل لاستعادة العلاقات مع الجميع وتحقيق صفر مشاكل لتركيا بديلاً عن صفر أصدقاء، ونرى أنّ البداية جاءت خاطئة، إذ بدلا من العمل وفوراً على تحسين العلاقة مع الجوار – في مصر أولاً وهي بوابة عبور إلى العراق وسورية وأيضاً ليبيا وباقي الدول التي ترفض المواقف التركية، تحرك أردوغان باتجاهين لا يعنيان المنطقة والجوار إلا بقدر يسير، رغم أنّ الروسي لن يتقبّل هذا الغزل ليصمت ويقف متفرّجاً أمام استمرار الحدود المفتوحة وعمليات النهب والسرقة التي يشرف عليها ويدعمها النظام التركي من الأراضي السورية وأيضاً العراقية وإنْ بشكل موارب، ولا يمكن للجانب التركي الادّعاء أنه لا علاقة له بعمليات النهب والسرقة الجارية (وليس آخرها تفكيك وسرقة منشآت محطة زيزون الكهرومائية) ورمي المسؤولية باتجاه الفصائل الإرهابية وقياداتها، فالحدود استمرت مفتوحة بوجههم على مصراعيها وليس تسللاً عبر ممرات سرية بعيدة عن المراقبة، ولأنّ العمليات بما يترتب عليها من نتائج مادية تقوم على أساس شراكة كاملة مع جهات رسمية حكومية أو أطراف نافذة من حزب العدالة والتنمية الحاكم.

لا يشعر العدو الصهيوني بالغبن في عملية التطبيع المطلوب من الجانب التركي خصوصاً مع تطبيق نظرية رئيس الأركان السابق موشيه يعالون، فهو يمدّ يد العون للحكومة التركية في تزويد الجماعات الارهابية بأنواع من السلاح الفاعل في مجالي الدروع والمضادات الجوية، وكذلك بالذخائر على قاعدة: دعوا العدو يقتل نفسه بيده وهي متعة حقيقية، ويرى أنّ ردود الأفعال لن تطاله حتى وانْ طالت النظام التركي ذاته، خصوصاً مع وجود حوار دائم بين قيادات تدّعي الإسلام وتعمل ضدّه، وهي تعتبر محاربة اليهود والمشروع الصهيوني من المحرّمات، وقد أعلن أكثر من طرف من قادة المعارضات وخصوصاً الإخوان، أنّ الصهيوني ليس عدواً، وهم رحّبوا وما زالوا يرحّبون بأيّ دعم يقدّمه، لا بل طالبوا قيادة العدو بقصف مواقع الجيش السوري وفعل ذلك أكثر من مرة دون إعلان، أو أعلن أنه قام بالتصدّي لعمليات نقل أسلحة وذخائر إلى حزب الله...

مسرحية أردوغان التي باشر أول فصولها من دافوس قبل سنوات، مروراً بزياراته إلى بغداد ودمشق وحلب ومغازلته الثورة المصرية، ومحاولته التقرّب من عالم المشرق بعد رفض قبول دولته في الاتحاد الأوروبي، وربما نجح في الكثير من أدائه فكانت فصولاً مقبولة... لكن الفصل الحالي وربما هو الفصل الأخير لا يبشر خيراً وتبدو عليه علائم الفشل منذ خطواته الأولى، لن ينجح مع الروس قبل أن ينجح في المنطقة، ولن ينجح في المنطقة إذا نجح مع الكيان الصهيوني... حيث يستمران، هو والكيان العدو في إلحاق الأذى والضرر بشعوب المنطقة بما فيها الشعب التركي ذاته... ولن يتغيّر الحال إلا إنْ تغيّر العدالة والتنمية التركي وابتعد عن قيادة السفينة مفسحا في تغيير وجهتها إلى وجهة مغايرة تماماً... 180 درجة بالضبط.